الأنفيلكسيا او عكس المناعة

برهان حيّ على بطلان مذهب التحويل الدروبني

بقلم الدكتور حبيب افندي الدرعوني

الأنفيلكسيا كلمةٌ جديدة تدور اليوم على ألسنة اكتاب من علماء الغرب فرأيت ان أعالج موضوعها كي لا يفوت قرّاء الشرق الاطلاع على هذا الاكتشاف الخطير وفيه من الغرابة ما يحيّر العقول وتُدهَش منهُ نفوس الاذكياء. بل رأيت ضرورياً الاسهاب في هذا الحادث لارتباطهِ بما كتبتُ في هذه المجلة منذ عدة سنين (المشرق ٣: ٦١٧ و٧: ٥٢٣) في المناعة ونظر العلّامة اهرليخ في امر تعليلها

كلُّ من له قليل المام في علم الحياة يعلم انهُ اذا لُقّح حيوانٌ بمقادير مخفّفة من بعض السموم ثم زيدت شيئاً فشيئاً بالتدريج قد يأتي زمانٌ يصبح فيهِ ذلك الحيوان غير متأثر بكميات اشدّ منها وذلك ما سمّوه المناعة

غير انهُ قد اكتشف بعض العلماء حادثاً حيوياً يعارض عمل المناعة ويعاكس فعلها تماماً. مثالهُ ان تعمدَ الى أرنب وتحقنهُ تحت جلدهِ بعشر غرامات من مصل دم فرس سليم مُعافى فلا يحصل لهُ أذًى وتدوم فراهته ونشاطهُ ثم تأخذهُ بعد مضي شهر فتحقنهُ ثانيةً بعُشر الكمية الاولى فتراهُ قد مات في الحال ويزيد الامرُ وضوحاً ان تأخذ خنزيراً هندياً لان هذا الحيوان نهايةٌ في الانفعال فتحقنهُ بالمصل مرّةً أولى ثم بعد مرور مدّةٍ من الزمان تحقنهُ مرةً ثانيةً بجزء من الف جزء من الاولى فيخرّ ميتاً باقل من لمح البصر

وقد لحظ كثيرٌ من العلماء الحيويين هذا الحادث العجيب فأعادوا التجارب فيهِ على طرائق شتى فكانت النتيجة واحدة: اي ان الحيوان الملقّح بمصل دم حيوان آخر لا يتأثّر منهُ اولاً امّا اذا كرّر تلقيحهُ ثانيةً بالمصل عينهِ بعد مرور شهر ولو بعُشر عُشر الجرعة الاولى فيموت موتاً سريعاً. فاطلقوا على هذا الحادث اسم الأنفيلكسيا اشتقاقاً من كلمتين يونانيّتين ترجمتهما « عكس المناعة »

ان مثل هذا الحادث الذي يتمّ في الحيوان قد يتمّ طبعاً في الانسان على وجه التشابه. ولكن اذ لا يجوز اجراء التجارب في الانسان الحيّ كما في الحيوان الاعجم لم يتحقّق العلماء الامر بالاختبار وانّما جاءت صُدَف الطوارئ تصدقنا الخبر. منها ان طبيباً في البرازيل تلقّح بالمصل المضاد للطاعون وقايةً لنفسه من وباء المطعونين لمخالطته لهم فنال منهُ غايتهُ ثم انهُ في السنة التالية تكرّرت عدوى الطاعون فعاد الطبيب وتلقّح بالمصل السابق كما فعل قبلاً فلم تمض عليهِ بضع ساعات الّا وقد سقط ميتاً. وعلى اثر هذه المصيبة تنبّهت الخواطر لاعتبار غيرها فشوهدت حوادث عدّة تؤيّد وقوع الانفيلكسيا في الانسان. وعندنا ان اعراض التسمّم التي تعرض للاطفال المصابين بالدفتيريا على اثر حقنهم بالمصل ثانيةً بعد مرور مدة على الحقنة الاولى ليست الّا من هذا القبيل

امّا الشروط المقتضاة لاحداث الانفيلكسيا فاثنان: الاول ان يمرّ بين التلقيح الاول والثاني مدة لا تقلّ عن الخمسة عشر يوماً. والثاني ان تكون مادّة التلقيح المستعملة اولًا وثانيا من نوع واحد والّا بطلت الانفيلكسيا. مثلًا اذا اخذت مصل دم ارنب بريّ ولقحت بهِ حيواناً ثم اخذت بعد حين دم ارنب داجن ولقحت بهِ ذلك الحيوان مرةً ثانية فلا ينالهُ اذًى ولا ضرر لانهُ حصل تغيّر في مصدر المصل وذلك بالرغم عمّا بين الحيوانين من التقارب

ومن عجيب امر الانفيلكسيا انّها تحصل ليس فقط بحقن الدم بل بجميع المواد المروّية الغير القابلة التبلور كالزلال وخلاصات بعض البقول كالحنص والفول وخلاصات اللحم الاحمر والنخاع والكلى والحليب والبول والبيض على انواعهِ ولكن بشرط المحافظة على القاعدة المتقدم ذكرها اي ان تكون مادّة التلقيح مأخوذة من نوع واحد. فبناء على ذلك اذا اعتبرنا شخصاً لُقّح اولًا بمادة بيض الحمام ثم لقح ثانيةً بمادة بيض الدجاج او البط فلا خوف عليهِ من ضرر ولا ينالهُ اذى. الّا انّ كثيراً من المواد المعدنيّة والنباتيّة كالورفين والكحول والاستركنين لا تحدث الانفيلكسيا

امّا تعليل هذا الحادث نظريّاً فهو ان المواد الشبيهة بالمروية (غير القابلة التبلور) اذا دخلت في دورة الدم كوّنت فيهِ مادّةً جديدةً اسمها التوكسيجنين (اي مولّدة

السم) من شأنها ان تكمن في الدم ولا تؤذي الّا اذا أُدخلت عليها ثانيةً نفس المادّة التي كانت سبب توليدها في الاوّل فتأتلف بها وتكوّنان بائتلافهما سمًّا ناقعاً ذلك اشبه بما جاء في اختبارات كلود برنار (Claude-Bernard) على خميرتي اللوز المرّ « الأميكدالين والإمولسين ». فانّهما اذا أُدخلا في الدم منفصلين لا يؤذيان واذا أُدخلا سويةً اصبحا سمًّا قاتلاً. ومن خواصّ التوكسيجنين استمرارُ فعلها على الدوام فهي تلازم صاحبها دائما. وكم كشف الاختبار عن حوادث انفيلكسيا دامت عدة سنين

تحدث الانفيلكسيا على الغالب بطريقة الحقن تحت الجلد وقلّما تحدث في المسالك الهضميّة وعلل المانع ما يطرأ من البيار بواسطة عصارات المعدة على الاطعمة او المواد التي تمرّ فيها فلا تلجُ الدم الّا متحللة . ومع ذلك فان كثيرًا من الناس يصيبهم شيءٌ من التسمّم على اثر تناولهم البيض او الحليب او غيره ممّا كان يشكل فهمه قبل معرفة الانفيلكسيا التي تعلّل لنا اليوم عن طبيعة تلك الاعراض

واهمّ ما في هذه الاكتشافات العلميّة انّها أتتنا ببرهان محسوس يُبطل مذهب دروين المعروف بالتحوُّل النوعي فضلًا عن الادلّة الاخرى التي كادت تقوّض اركانهُ

من المعلوم ان المذهب الدروينيّ ينكر وجود انواع الحيوان كل واحد مستقلّ عن سواه من يوم فطرته ويعتقد انها فروع متعددة ترجع الى اصل واحد هي حويصلة حيّة اخذت تنمو وتتشعّب وتتفرّع وتتحوّل وتتكيّف دون ان يكون في ذلك الاصل ذاتيّات لكل نوع من الانواع كأن جاز للانسان ان يكون تسلسل من القرد والقرد من الخنزير وهذا من السمكة وهلمّ جرًّا . على ان ما مرَّ بك من شأن الانفيلكسيا وشروط إحداثها يعزّز استقلال النوع وانفراده بطبعهِ وخواصهِ ويدلّ على قيام الفواصل بين نوع ونوع . وكل فردٍ من نوعهِ خلقٌ مطبوعٌ قائم بذاتهِ لا نتيجة التفرّع او التحوُّل من اصل واحد . وليس القول بالانواع من مخترعات التعليم يُقصد بها تقسيم الاحياء وتبويبها لمساعدة الذهن على درسها وحفظها . واكبر برهان لدينا اليوم هو وجود التوكسيجنين النوعية حسبما كشفتها لنا الانفيلكسيا التي نحن في صددها صابرةً على مرور الاجيال لا يعتريها تغيّر ولا زوال بل تظلّ على قدم الاستعداد لتُظهر بمفاعيلها ان لا تغيّر في النوع ولا تحويل

واليك اختبارًا فريدًا في بابهِ يؤيد هذه الحقيقة : جاءوا بموميا (جثة محنطة) قديمة العهد تعاصر ابراهيم الخليل عليهِ السلام فاستخلصوا شيئاً من نخاعها الشوكي ولقحوا بهِ خنزيرًا هنديًا فلم يحصل لهُ ضرر ولا نقص انتعاشه ثم بعد مرور المدة القانونيَّة قُبض عليهِ ولُقح بمصل دم بشري جديد سليم فاذا بهِ مات في الحال . أوَ ليس هذا برهانًا على ان تلك الموميا العريقة بالقدم التي مضى عليها اكثر من اربعين جيلًا هي من النوع الانساني وانها لم تتغيَّر في نوعها مع ان الانسان الذي استُعمل مصله للتلقيح هو من الجيل العشرين ابيض البشرة آري الاصل بينما الموميا من بني حام وتنتمي حسب التوراة الى مسرانيم ؟ الَّا ان النوع لم يزل واحدًا في كليهما فتأمل !

حوادث مدهشة في الحقيقة ودلائل واضحة تقطع بدوام الانواع والروامز على حالٍ لا تتغيَّر وبالتالي فهي حجة دامغة لتفنيد مذهب التحوُّل الدروبني . فسبحان الله كم لهُ في خلقهِ من آيات وكم نرى في اسرار هذا الخلق من معجزات

حوادث العام المدبر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ احوال اوربا في العام المنصرم

﴿ رومية ﴾ يحسن بنا ان نبتدئ بعاصمة الكثلكة وحبرها الجليل نعم ان رومية ليست دولةً ذات املاك وقوَّة مادية الَّا انها ذات سلطة ادبيَّة تفوق على كلّ سلطة ادبيَّة وتعلو فوق كل الدول . لعمري انهُ لمشهد يسحر الالباب نظر ذلك الشيخ السجين في قصر الفاتيكان الذي ترنو اليهِ ابصار العالم كله وتحنيهِ الملوك كما يُحيَّا ممثل السلطة العلويَّة ويُزار في سجنهِ كما تُزار المقامات المقدَّسة ويقول بقولهِ ثلاثمائة مليون من البشر اذا شهد انهُ ينطق باسم الهِ المسيح ولهُ الرئاسة التامَّة على الكنيسة فتجعلهُ اعظم شخص ادبيّ في الكون وان سلبتهُ ايطالية املاكهُ فهو لا يزال ملكًا شرعيًا تقرُّ بملكه الدول وترسل اليهِ سفراءها كما تفعل مع بقيَّة الملوك ويرسل هو اليها سفراءهُ ولهُ رايتهُ الخاصة تُنشر كرايات الدول وتُكرم كراية ملك . وقد اثبت